مجلة الإحياء، المجلد 26، العدد: 39، جويلية 2026، ص - ص: 105-124
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

حدود دور المفسّر في بيان المعنى القرآني:
آية الاستخلاف أنموذجا

The Role of Tafsīr Scholars in the Clarification of Qur'ānic Meaning:
The Verse of Istikhlāf as a Case Study

د/ محمد أمين حسيني
Mohamed Amine HOCINI
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر
Mhocini@qu.edu.qa

تاريخ الإرسال: 2026/05/15 تاريخ القبول: 2026/07/24

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة حدود دور المفسّر في العملية التفسيرية، ومجالات مسؤوليته في بيان المعنى القرآني، من خلال اتّخاذ آية الاستخلاف في سورة النور نموذجا تطبيقيا لتحليل مناهج المفسرين قديما وحديثا. وينطلق البحث من إشكالية مفادها الدعوى القائلة بأن بعض المفسرين لم يُعطوا مفاهيم الاستخلاف الواردة في الآية حقّها من البيان؛ مما يثير تساؤلا منهجيا حول ما يُطلب من المفسّر تحديدا، وما الحدّ الذي إذا التزمه عُدّ تفسيره مستوفيا، وإذا قصُر عنه عدّ مخلا بها.

تتجلّى أهمية البحث في سعيه إلى الإسهام في ضبط وظيفة المفسّر وحدودها، ووضع معالم منهجية تُعين على تقويم كفاية التفسير أو نقصه، من خلال دراسة تطبيقية لآية محورية ذات حضور في القضايا المعاصرة. وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، عبر جمع أقوال المفسرين وتصنيفها وتحليلها للكشف عن طرائقهم في بيان المعنى التفسيري.

وخلُص البحث إلى أن الوظيفة الأساسية للمفسّر هي بيان المعنى وضبطه، وأن هذه المرحلة تمثل أساس سلامة الفهم ومنع الانحراف، وأن التفسير عملية تراكمية تتفاوت فيها جهود المفسرين بين الاقتصار والتوسّع إلى ما يتجاوزه بحسب اعتبارات منهجية وسياقية.

الكلمات المفتاحية: دور المفسر؛ البيان التفسيري؛ تقويم التفسير؛ التفسير التحليلي؛ آية الاستخلاف.

Abstract

This study seeks to examine the boundaries of the exegete's role in the interpretive process and the scope of responsibility in explicating Qur'ānic meaning, using the verse of *istikhlāf* in *Sūrat al-Nūr* as a case study for analyzing the methodologies of classical and modern exegetes. The study is motivated by the claim that some exegetes have not done full justice to explicating the concept of *istikhlāf* in the verse, raising a methodological question about what is required of the exegete and the minimum threshold at which interpretation is considered adequate and below which it is deemed deficient.

The significance lies in defining the function and limits of the exegete and establishing evaluative criteria for determining the adequacy of interpretation, through application to a pivotal verse relevant to contemporary discourse.

The study employs an inductive-analytical approach by collecting, classifying, and analyzing exegetical statements to identify patterns in their treatment of meaning. The findings indicate that the primary function of the exegete is to clarify and delimit meaning, and that this stage safeguards sound understanding and prevents misinterpretation. Moreover, exegetical practice is cumulative, with varying degrees among exegetes over time.

Keywords: role of the exegete; exegetical clarification; interpretation evaluation; analytical exegesis; verse of *Istikhlāf*.

مقدّمة:

يثير النظر في دور المفسّر وحدوده في بيان المعنى القرآني إشكالا منهجيا يتعلّق بالتمييز بين ما يندرج في صميم البيان التفسيري، وما يتجاوزه إلى دوائر الاستنباط والتنزيل والتوظيف. ويتجلّى هذا في الآيات التي حظيت باهتمام واسع في الواقع المعاصر، وتنوّعت مسالك المفسّرين في تناولها بين الاقتصار على بيان معناها الأصلي والتوسّع إلى قضايا فكرية وتربوية وسياسية تتجاوز ذلك. ومن أبرز تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [النور: 55-57]، وهي من الآيات المحورية في باب الاستخلاف والتمكين وشروطهما، وقد حظيت بعناية واسعة عند المعاصرين؛ لما تمثّله من منطلق في تشخيص واقع الأمة واستنباط سبل إصلاحه في ضوء دلالتها. ومن هنا يأتي هذا البحث لتحليل الفعل التفسيري في هذه الآية الكريمة؛ من خلال استقراء مناهج المفسرين في بيان معناها، والوقوف على وجوه التوسّع في تفسيرها؛ استجلاء للحد الفاصل بين البيان التفسيري وما ينبني عليه من اشتغالات لاحقة.

تتمحور مشكلة البحث حول الأحكام النقدية التي تُوجّه إلى بعض التفاسير بدعوى عدم استيفائها بيان معاني الاستخلاف الواردة في الآية، ولا سيّما من جهة توسيع دلالتها وتنزيلها على الواقع؛ الأمر الذي يثير سؤالا منهجيا حول الحدّ الفاصل بين البيان التفسيري وما يندرج في دوائر الاستنباط والتوظيف، وما القدر الذي يجب تحققه من البيان حتى يُحكم بأن المفسّر قد استوفى وظيفته التفسيرية.

ويهدف هذا البحث إلى بيان أنماط تعامل المفسرين مع آية الاستخلاف، وتحليل وجوه تناولهم لدلالتها ومجالات التوسّع. كما يهدف إلى الإسهام في بناء إطار منهجي للحكم على تحقق البيان التفسيري من خلال هذا النموذج التطبيقي.

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مستفيدا من الاستقراء في تتبع أقوال المفسرين في تفسير آية الاستخلاف، ومن التحليل في دراسة مضامين هذه الأقوال والكشف عن طبيعة معالجتها. كما سعى إلى بناء تصنيف تحليلي لهذه المعالجات من خلال تقسيمها إلى دوائر بحسب درجة اتصالها بمرحلة البيان التفسيري، بما يتيح تقويم الممارسة التفسيرية في ضوء معايير منهجية منضبطة. واستفاد البحث من المقارنة الجزئية بين التفاسير؛ للكشف عن تفاوتها في تحقيق البيان التفسيري، في حدود ما يخدم التحليل ويعين على استخلاص النتائج.

تتقاطع جملة من الدراسات المعاصرة -خاصة أعمال خليل محمود اليماني- في بناء توجّه نظري يعيد مركزية التفسير إلى "المعنى التفسيري"، وذلك من زوايا متعدّدة؛ إذ تناولت بناء المدارس التفسيرية

من جهة المسالك المنهجية في إنتاج المعنى[1]، كما عالجت الرتب العلمية للمفسرين في ضوء درجة اشتغالهم به[2]، وسعت إلى تحرير مفهوم المفسّر وربطه بالفعل التفسيري القائم على بيان المراد[3]، بالإضافة إلى محاولة ضبط معاقد التفسير بردّه إلى بيان المعنى السياقي وضبط أدواته[4]. وتكشف هذه الدراسات - في مجموعها- عن مشروع نظري متكامل يسعى إلى إعادة تأسيس التفسير حول محور البيان التفسيري بوصفه جوهر الممارسة التفسيرية، مع التنبيه إلى تفاوت اشتغال المفسرين به.

غير أن هذه الدراسات بقيت في إطار التأصيل النظري العام، ولم تتجه إلى تقويم تحقيق البيان التفسيري في التطبيقات الجزئية، أو فحص حضوره في النصوص التفسيرية ذاتها؛ ومن هنا تأتي هذه الدراسة للانتقال من هذا الإطار النظري إلى مستوى التحليل النقدي التطبيقي، من خلال تقويم مدى استيفاء المفسرين لمرحلة البيان التفسيري في آية الاستخلاف، ووضع ضوابط منهجية للحكم على تحقق المعنى فيه.

كما تناولت دراسات حديثة جوانب مختلفة من الفعل التفسيري، إلا أنها تفرّقت في زوايا النظر؛ فاعتنت طائفة ببيان الشروط العلمية والأدوات التي يقوم عليها التفسير، مركّزة على علوم اللغة وأصول الفقه وعلوم القرآن بوصفها أساسا في الكشف عن المعنى[5]، كما سعت أخرى إلى بيان أثر قبليات المفسّر والظروف الفكرية والسياسية في توجيه الفهم التفسيري والتنبيه إلى احتمال انحرافه تحت تأثير هذه العوامل[6]، في حين توجهت طائفة ثالثة إلى نقد اتجاهات تفسيرية معينة - كالتفسير العلمي- وبيان ما يعتريها من خلل في تحميل النص ما لا يحتمل[7].

وعلى الرغم من أهمية هذه الجهود في الكشف عن شروط التفسير وعوامله ومسارات الانحراف فيه، إلا أنها بقيت في إطار العوامل السابقة على التفسير أو المحيطة به، ولم تنتقل إلى تقويم البيان التفسيري ذاته من حيث تحققه في النصوص أو مدى استيفاء المفسّر لمرحلة بيان المعنى.

ومن خلال ذلك يتّضح أن الدراسات السابقة -على تنوّعها- قد انشغلت بالجوانب النظرية أو الشروط والأدوات أو العوامل المؤثرة في التفسير، دون أن تتجه إلى تقويم تحقيق البيان التفسيري في التطبيق، ومن هنا تأتي هذه الدراسة لسدّ هذه الفجوة، من خلال تحليل العملية التفسيرية في آية الاستخلاف، وتقويم مدى تحقق البيان فيها، والإسهام في اقتراح إطار تحليلي لتقويم البيان التفسيري من خلال دراسة آية الاستخلاف.

وتنحصر الدراسة في آية الاستخلاف الواردة في سورة النور بوصفها نموذجا تطبيقيا لدراسة حدود دور المفسّر في بيان المعنى القرآني، وذلك من خلال عينة مختارة من التفاسير المتقدمة والمعاصرة، مع التركيز على تحليل الممارسة التفسيرية للمفسرين وتقويمها من حيث تحقق البيان التفسيري.

وينطلق هذا البحث من اعتبار التفسير عملا أساسُه بيان المعنى المراد للنص القرآني في ضوء اللغة والسياق وسائر مصادر التفسير المعتمدة، وأن دور المفسر يتمثّل ابتداء في تحقيق هذا البيان وتحرير مدلول النص، أما ما يجاوز ذلك من استنباطات وتنزيلات وتوظيفات فكرية وتربوية فإنه يمثّل مرحلة لاحقة تُبنى على المعنى التفسيري ولا تندرج في حقيقته المباشرة. وبناء على ذلك فإن تقويم صنيع المفسرين في هذه الدراسة يقوم على مدى استيفائهم لمرحلة البيان التفسيري صراحة أو ضمنا، لا على مقدار توسّعهم فيما يُبنى عليه.

المبحث الأول: آية الاستخلاف في التفاسير المتقدمة والمعاصرة

يهدف الباحث في هذا المبحث إلى تحليل آية الاستخلاف من خلال مجموعة مختارة من التفاسير المتقدمة والمعاصرة المتنوّعة في مناهجها واتجاهاتها؛ وذلك لبناء تصوّر تحليلي حول المحاور الكبرى للآية الكريمة والقضايا المركزية التي عالجها المفسّرون، مع تصنيف هذه المعالجات بحسب مدى استيفائها للمعنى الأساس، وطبيعة التوسّع فيه.

المطلب الأول: آية الاستخلاف في التفاسير المتقدمة[8]

أولا: أقوال المفسرين في آية الاستخلاف:

أ- الطبري (ت 310هـ): يُمثّل نموذج التفسير الذي يركز على بيان المعنى الأصلي والمراد الإجمالي للآية بدقّة: الاستخلاف هو توريث أرض المشركين "ليورثنّهم الله أرض المشركين من العرب والعجم"[9]، والتمكين هو توطئة الدين وتثبيته "وليوطئن لهم دينهم"[10]، والأمن هو تحويل حال الخوف إلى الطمأنينة "وليغيّرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن"[11]، مع عناية بالقراءات وتوجيه الألفاظ في قوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾[12]، وترجيح أن الكفر في ختام الآية هو كفر النعمة[13]. وهو ما يؤكد أن الإمام الطبري قد استوفى وظيفة البيان التفسيري وأدّى القدر اللازم من البيان، من حيث شرح الألفاظ، وتحديد المراد الإجمالي، وربط الآية بسياقها، من غير انتقال إلى توظيف فقهي أو عقدي أو جدلي خارج هذا الإطار.

ب- الزمخشري (ت 538هـ): يتميّز الزمخشري بالتركيز على التركيب البلاغي والنحوي للآية الكريمة؛ إذ يوجّه قوله تعالى ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ على احتمالي الاستئناف أو الحال [14]، ويفسّر الكفر في ختامها بكفران النعمة، ويرى فيها "أوضح دليل" على الخلفاء الراشدين مع عناية بالنظم وتقدير القسم[15]، وكلّ ذلك في عرض موجز يركّز على ضبط النظم والتركيب دون توسّع في تفريع المعاني.

ج- الرازي (ت 606هـ): يقدم انتقالا ظاهرا من التفسير إلى الاستنباط الكلامي؛ ويجعل الآية مدخلا لإثبات جملة من المسائل العقدية فيصرّح بأنها "مشتملة على بيان أكثر المسائل الأصولية الدينية"[16]، ومن ثم يوظّفها في الاستدلال على قضايا كلامية متعددة؛ كإثبات صفة الكلام الإلهي "على أنه سبحانه متكلّم"[17]، والعلم السابق، والقدرة، وصحّة النبوة، بل ويتجاوز ذلك إلى تقرير قضايا الإمامة، حيث يربط الاستخلاف بما وقع في زمن الخلفاء الراشدين، وناقش من خلالها الاعتراضات الواردة عليها[18]. فلا يجعل الرازي عنايته منصبة على تفكيك مفردات الاستخلاف والتمكين لذاتها، بقدر ما يتخذ الآية منطلقا لبناء استدلالات أصولية وعقدية.

د- القرطبي (ت 671هـ): من أكثر من توسّع في استحضار العناصر التفسيرية المتعددة وربطها؛ كسبب النزول، وعموم الوعد أو خصوصه؛ إذ نقل كلام ابن عطية "والصحيح في الآية أنها في استخلاف الجمهور وعقّب عليه "واستخلافهم هو أن يملّكهم البلاد ويجعلهم أهلها"[19]، منبها إلى أن "الآية عامة لأمة محمد ﷺ غير مخصوصة، إذ التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب (له) التسليم، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم"[20]؛ وجعَلَ الخلفاء الراشدين أوّل من يتحقق فيهم الوعد، وحَمَل معنى الأرض على عموم بلاد العرب والعجم[21]، واستعرض وجوه القراءات في قوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾[22]، ونقل أربعة أقوال للسلف في معنى قوله تعالى: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ ولم يرجّح بينها[23]، ورجّح أن الكفر المراد في ختام الآية هو كفران النعمة لا الكفر بالله تعالى[24]. فيلاحظ أن الإمام

القرطبي يحافظ على بيان المعنى الأصلي للآية الكريمة، غير أنه يتجاوزه إلى توسّع ترجيحي منهجي، يتمثّل في جمع الأقوال، وتحرير محلّ الخلاف، وربط التفسير بقواعد العموم والتخصيص.

هـ- ابن كثير (ت 774هـ): يبرز عنده الطابع الأثري في التفسير مع عناية بالسياق التاريخي؛ إذ يؤكد تحقّق الوعد الإلهي فيقول: "هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمةَ الناس والولاةَ عليهم... وقد فعل تبارك وتعالى ذلك. وله الحمد والمنة"[25]، وأن الآية من دلائل النبوة "فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله..."[26]، ويُكثر من الأحاديث والآثار التي تشرح حال الخوف ثم الفتح والظهور كحديث أبي العالية وعدي[27]، ثم يربط دوام التمكين بقدر قيام الأمة بأمر الله تعالى، فيقرأ الآية في ضوء التجربة التاريخية والأثرية بوصفها سنة قابلة للتكرار بتحقق شروطها، لا على أنها مجرّد واقعة ماضية منقطعة[28].

و- ابن عجيبة (ت 1224هـ): يقرر المعنى التفسيري الظاهر للاستخلاف والتمكين أولا، ثم يصرّح بالانتقال إلى مستوى الإشارة، حيث يوسّع مفهوم الاستخلاف ليشمل وراثة أهل العلم وأئمة الدين، ويجعل التمكين سنة تربوية لأهل الصدق بعد الابتلاء، ويعبر عن ذلك بقوله: "الإشارة: سُنَّة الله تعالى في خواصه: أن يُسلط عليهم في بدايتهم الخَلْقَ، فينُزل بهم الذلّ والفقرَ والخوفَ من الرجوع عن الطريق، ثم يُعزّهم، ويُمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً"[29]؛ مما يدلّ على أن هذه التوسعة لا تُزاحم المعنى الأول ولا تدّعي كونه المراد الأصلي، بل تبني عليه قراءة تربوية وإرشادية تتجاوز حدّ البيان المباشر.

يمكن القول إن الخلاف بين المفسرين في هذه الآية ليس خلافا في أصل المعنى العام، بقدر ما هو اختلاف في مستوى الاكتفاء التفسيري؛ أي في الحدّ الأدنى من بيان المعنى الذي يُعدّ به التفسير قد أدى وظيفته. فالطبري يكتفي ببيان المعنى اللغوي والسياقي وتحديد المراد الإجمالي، ويعدّ ذلك صلب التفسير الذي تقوم به وظيفته. أما غيره كالقرطبي والرّازي وابن كثير، فقد أدّوا -على تفاوت- هذا البيان ثم تجاوزوه إلى طبقات أخرى من الاشتغال؛ ترجيحية، أو عقدية، أو أثرية، أو كلامية أو وعظية، وهي توسّعات منهجية مشروعة في نفسها، لكنها ليست كلّها لازمة لشرح أصل المعنى المراد من الآية الكريمة.

ثانيا: المحاور الكبرى لآية الاستخلاف

يتبين بعد استقراء جملة من التفاسير المتقدمة أن تفسير آية الاستخلاف يدور حول خمسة محاور كبرى تمثّل معانيها المركزية، وهي:

1- الوعد بالاستخلاف.

2- التمكين للدين.

3- تبديل الخوف أمنا.

4- وكون ذلك مشروطا بالإيمان والعمل الصالح.

5- ثم توجيه قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ باعتباره غايةً مقصودة، أو حالا مقيّدة للوعد، أو ثناء على المستحقين له.

كما تكرّر في كثير من أقوالهم ربط الآية بسياق خوف الصحابة -رضي الله عنهم-، ثم تحقّق الوعد في الواقع؛ مما جعلها عند عدد منهم من دلائل النبوّة والإخبار بالغيب.

ويظهر أيضا تكرار مسائل فرعية، مثل المراد بالأرض (مكّة أم عموم البلاد؟)، والمقصود بالمستخلفين، ونوع الكفر الوارد في ختام الآية؛ حيث تميل أكثر الأقوال إلى عموم الأرض، وإلى أن الكفر هنا كفرُ النعمة، مع تفاوتهم في تخصيص الوعد بالاستخلاف، بالخلفاء الراشدين أو تعميمه على الأمة.

ثالثا: دوائر التفسير في آية الاستخلاف بحسب المسالك التفسيرية

وبالنظر إلى أقوال المفسرين في هذه الآية، يمكن تقسيم معالجاتهم التفسيرية إلى خمس دوائر، بحسب درجة اشتغالهم ببيان المعنى الأساس ومستوى التوسّع فيه. ويراد بهذا التقسيم تقريب صورة الاختلاف في طرائق التفسير، لا وضع حدود فاصلة بينها؛ إذ قد يجتمع في التفسير الواحد أكثر من مسلك، ومن ثم يقع ضمن أكثر من دائرة. كما أن هذا التصنيف خاص بهذه الآية، ولا يُقصد به إصدار حكم عام على مناهج المفسرين في سائر تفسيرهم. وهي كما يلي:

1- **الدائرة التفسيرية الأساسية**: تقوم على الاقتصار على بيان المعنى الأصلي للآية المتمثل في الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف، ويعدّ هذا القدر صلب التفسير. ويمثّل الطبري هذا التوجّه بوضوح، ويبرز كذلك عند ابن أبي زمنين (ت 399هـ)[30]، والماوردي (ت 450هـ)[31]، والواحدي (ت 468هـ)[32]، وابن الجوزي (ت 597هـ)[33]، وأبي حيان (ت 745هـ)[34]، مع تفاوتهم في السّعة والتفصيل.

2- **الدائرة التفسيرية الموسّعة**: لا يكتفي فيها المفسّر ببيان المعنى الأصلي، بل يتجاوزه إلى توسّع ترجيحي ومنهجي، يشمل مناقشة العموم والخصوص، ومعنى الأرض، وتوجيه قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾، وبيان معنى كفر النعمة، وتحديد دلالة الآية: هل تتعلق بالخلفاء الراشدين أم بعموم الأمة[35]. ومثّل هذا التوجّه القرطبي، الزمخشري، وابن عجيبة في مستواه التفسيري الظاهر، كما يظهر عند ابن عطية (ت 542هـ)[36]، والنّسفي (ت 710هـ)[37]، مع تفاوتهم في السعة والتّفصيل.

3- الدائرة الكلامية العقدية: وفيها ينتقل المفسّر من بيان الألفاظ والمعنى المباشر للآية إلى توظيفها في مباحث عقدية وكلامية؛ كمسألة الكلام الإلهي، والعلم السابق، والإمامة، ودفع اعتراضات الفرق. ويُعدّ الرّازي من أبرز من يمثّل هذا المسلك، كما يُلحظ -بدرجة متفاوتة- عند ابن عادل (ت 775هـ)[38].

4- الدائرة الأثرية الحديثية: وفيها يغلب على التفسير استحضار الروايات والآثار والأحاديث، بوصفها معطى أساسيا في توجيه المعنى وتوسيعه، مع عناية بإبراز تحقق الوعد في سياقه التاريخي. ويُعدّ ابن كثير أبرز من مثّل هذا المسلك، كما يظهر عند ابن أبي حاتم (ت 327هـ)[39]، والسيوطي (ت 911هـ)[40] مع تفاوتهم في السعة والتّفصيل.

5- الدائرة الإشارية (الصوفية): وفيها ينتقل المفسّر من المعنى الظاهر للآية إلى دلالات إشارية تتعلق بوراثة أهل العلم، وأئمة الدين، وسنن التربية والتمكين الروحي، على نحو لا يُزاحم المعنى الأصلي ولا يدّعي أنه المراد وحده. ويمثّل هذا التوجّه ابنُ عجيبة، كما يتجلّى -بدرجة متفاوتة- عند القشيري (ت 465هـ)[41].

جدول رقم (1) يوضّح دوائر التفسير ومسالكها التطبيقية عند المفسرين المتقدمين في آية الاستخلاف

الدائرة التفسيرية	طبيعة المعالجة التفسيرية	المفسرون
الدائرة التفسيرية الأساسية	بيان المعنى الظاهر والاكتفاء به	الطبري
الدائرة التفسيرية الموسّعة	التوسع في المعنى بعد بيانه	القرطبي، الزمخشري
الدائرة الكلامية العقدية	توظيف الآية في الجدل العقدي	الرازي

الدائرة الأثرية الحديثية	استحضار الروايات والآثار في التفسير	ابن كثير
الدائرة الإشارية	الانتقال إلى الدلالات الإشارية	ابن عجيبة

وبناء على ما سبق عرضه حول تناولِ المفسرين لآية الاستخلاف، يظهر أن مناهج التفسير المتقدمة كشفت عن تنوّع ثري في مستويات التعامل مع الآية، بين من اكتفى بالحدّ الأساس من البيان التفسيري، ومن توسّع بعد ذلك إلى مجالات تتجاوز مجرّد بيان المعنى. وهذا التنوّع ليس محلّ حكم بالسلب أو بالإيجاب في ذاته؛ بقدر ما يعكس اختلافا في مقاصد التفسير ومسالكه. غير أن هذه التفاسير - بمجموعها- تتيح للقارئ تصوّرا متكاملا للمراد من الآية من زوايا متعدّدة.

ومن خلال ذلك يتبين أن مرحلة البيان التفسيري، المعنية ببيان المعنى وتحديد المراد من الآية، تمثّل لبنةً تأسيسية لا يمكن تجاوزها؛ إذ يُفضي الإخلال بها إلى اضطراب في الاستدلال وانحراف في الفهم. وفي المقابل، لا يُعدّ التوسّع بعد استيفاء هذا البيان محلّ اعتراض، ما دام منطلقا منه ومنضبطا به.

وبذلك يمكن القول إن المفسرين -رحمهم الله تعالى- لم يُقصّروا في بيان المعنى الأساس لآية الاستخلاف، وإنما اختلفوا في مستويات توظيفها ومجالات بسطها. ويؤكد ذلك أن وظيفة المفسّر تتحقق ابتداء ببيان المعنى المراد من النصّ وتحريره، وهو الحدّ الذي يقوم عليه العمل التفسيري للمفسّر، أما ما وراءه من توسيع التطبيقات والاستنباطات فمجالٌ تابعٌ للبيان وليس جزءا من حقيقته اللازمة.

المطلب الثاني: آية الاستخلاف في التفاسير المعاصرة

أولا: أقوال المفسرين في آية الاستخلاف

أ- السعدي (ت 1376هـ): يقرر السعدي المعنى التفسيري الظاهر لآية الاستخلاف، ثم يعممه بوصفه سنة إلهية شرطية يتحقق وعدها بالإيمان والعمل الصالح، ويستمر بدوام تحقق هذه الشروط. ولا يحوّل دلالتها إلى تحليل نظري أو قانون اجتماعي، بل يبقيها في إطار تقرير إيماني تربوي عام يربط التمكين بزكاة العمل، وتخلفه بإخلال أحد هذين الأصلين أو كليهما، يقول: "ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح"[42].

ب- قطب (ت 1386هـ): يبرز عند سيد قطب تحويل آية الاستخلاف من خبر عن وعد إلهي إلى خطاب تربوي حركي؛ إذ يوضّح أن الاستخلاف "ليس مجرّد الملك والقهر والغلبة والحكم" بل أمانة إصلاح وعمارة على شرط العبودية الخالصة[43]، وبجعل قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ علّة للاستخلاف والتمكين ومقياسا دائما له[44].

ولا يقف قطب عند مرحلة البيان التفسيري بمعناها التحليلي، ولا يتعامل مع الآية بوصفها نصّا يحتاج إلى بيان؛ إذ يعدّ ذلك عنده أمرا ضمنيا مفروغا منه، بل يتعامل معها بوصفها منهجا يحتاج إلى تنزيل في الواقع. ومن ثم ينطلق من المعنى العام المستقر للآية الكريمة ليوجهها في خطاب تربوي حركي يجعل الاستخلاف وظيفة ومنهجا عمليا، يفسر به ظاهرة استبطاء النصر؛ إذ يرى أن تأخير التمكين لا يرجع إلى تخلّف الوعد، وإنما إلى تخلّف بعض شروطه في الواقع، فالوعد - في نظره- ثابت ومذخور لمن يحقق المنهج الإلهي[45].

ج- ابن عاشور (ت 1393هـ): يبتدئ ابن عاشور بتقرير المعنى التفسيري الظاهر لآية الاستخلاف تقريرا دقيقا ومفصلا، ثم يخلص من ذلك إلى جعل الوعد سنة اجتماعية مشروطة بالقوة والتهيؤ

والأسباب، ويقرر "أنه لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة.."[46]، وأن الإيمان والعمل الصالح المقصودين في الآية الكريمة هما كلّيات تنتظم بها حياة المجتمع، لا مجرّد عبادات فردية، وبذلك تنتقل الآية عنده من الإخبار إلى تأسيس قانون حضاري عام تحكمه سنن ثابتة[47].

د- الشنقيطي (ت 1393هـ): يلتزم الشنقيطي ببيان المعنى التفسيري للآية ابتداء، ثم يوسّعه عبر ربطها بسلسلة من الآيات في النصر والتمكين والوراثة في إطار تفسير القرآن بالقرآن، ويصرّح بأن "الآيات تدل على أن طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة"[48]، وبذلك تغدو الآية قاعدة سننية مستفادة من مجموع النصوص، لا مجرّد خبر تاريخي منقطع.

هـ- دروزة (ت 1404هـ): يقرّر دروزة المعنى التفسيري الظاهر لآية الاستخلاف تقريرا واضحا، ثم يصرّح بأنها "تنطوي على تقرير أن ذلك يكون في نطاق دولة ذات سلطان؛ وبمعنى آخر قد انطوى فيها فكرة قيام الدولة في الإسلام"[49]، ولا يقف عند هذا البيان، بل يتجاوزه إلى تقعيد دلالتها بوصفها قانونا اجتماعيا وسياسيا عاما قائما على سنن مطّردة، لا مجرّد بشارة تاريخية، كما يربط الاستخلاف بمنهج شامل من الإصلاح والعدل وعمارة الحياة[50].

و- حوى (ت 1409هـ): يقرر سعيد حوى أن "المنافقين ليس لهم في هذه البشارة نصيب"، وأن وعد الاستخلاف مشروط "بالدخول في الإسلام كلّه اعتقادا وعملا"[51]، كما يعرض المعاني الأساسية للاستخلاف والتمكين والأمر عرضا تفسيريا موجزا، يقتصر فيه على بيان المعنى العام للآية، ثم يتجاوز ذلك إلى توظيف تربوي حركي، يجعل الاستخلاف وعدا مرتبطا بتحقيق العبودية الصادقة والقيام بحق التكليف الإلهي قبل التمكين وبعده[52].

ز- الشعراوي (ت 1419هـ): يعالج الشعراوي آية الاستخلاف معالجة تربوية إصلاحية، فيفسر الاستخلاف بوصفه خلافة قائمة على عمارة الأرض وإصلاحها، لا على مجرّد السلطان والغلبة، ويربط تحققه بتمام العبودية الخالصة لله تعالى[53]. ويقدّم بيانا إجماليا للآية، ثم ينطلق منه إلى خطاب وعظي قيمي واسع، يوظّف النصّ في تهذيب الفرد وإصلاح المجتمع، دون الدخول في تحليل تفسيري تفصيلي أو استنباط سنن تاريخية بصيغة قانونية.

ح- ابن عثيمين (ت 1421هـ): يهتم ابن عثيمين بالبيان التفسيري لآية الاستخلاف اهتماما واضحا، وينطلق منه إلى تقرير دلالتها بوصفها سُنة مشروطة لا تتحقق بالانتساب ولا بالأسماء، بل بالإيمان والعمل الصالح؛ فهو يرى أن الله تعالى "ينصر من قام بهذا الدين" ويؤكد "أن هَذَا الوعد الَّذِي وعده الله حق، لكنَّه للذين آمنوا وعملوا الصَّالحات[54].

وعلى هذا الأساس، لا يجعل النصر أمرا مضمونا على الإطلاق، بل يربط تحقّقه بإيفاء شروطه، ويرى أن تخلّفه إنما يكون "بقدر ما تخلّف من هذين الوصفين"[55]. كما يربط الاستخلاف ودوامه بتحقيق العبودية الخالصة، ويجعل قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ قيدا لازما لتحقق الوعد واستمراره[56]، وبذلك يقدم قراءة سننية تربوية واقعية توظّف الآية في تقويم حال الأمة، دون أن يحولها إلى خطاب حركي تنظيمي.

ط- الزحيلي (ت 1436هـ): يجعل الزحيلي آية الاستخلاف من "أصول دولة الإيمان"[57]، وينطلق في ذلك من بيان تفسيري مفصل لمعانيها، فيربط الاستخلاف بالولاية العامة وصلاح البلاد، لا بمجرد الأمن الفردي، ويقرر أن التمكين هو "جعل هذا الدين ممكّنا في الأرض بتثبيت قواعده وإعزاز جانبه"[58]. ولا يقف عند هذا البيان، بل يعمم دلالتها بوصفها سنّة تاريخية مطّردة متحققة كلّما تحققت شروطها[59]، كما

يجعل قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ قيدا لازما للوعد بالاستخلاف[60]، وبذلك يجمع بين البيان، والترجيح، وربط الآية بمقاصد الشريعة وسنن الاجتماع.

ك- أبو بكر الجزائري (ت 1439هـ): يلتزم أبو بكر الجزائري في تفسير آية الاستخلاف ببيان معناها الظاهر، فيقرر أن الاستخلاف تمليك وسلطان في الأرض، وتمكين للدين، وتبديل للخوف أمنا، ويجعل الآية وعدا صادقا للمؤمنين ووعيدا للمكذبين[61]. ويقف في ذلك عند حدود البيان التفسيري، مع توجيه وعظي إيماني، دون توسّع في استنباط سنن تاريخية أو قوانين اجتماعية.

يتقرّر من مجموع تفاسير المعاصرين أن آية الاستخلاف لم تقتصر دلالتها على بعدها الخبري، بل اتّسعت لتُفهم في إطار دلالة سننية وتربوية وحضارية مطّردة بشروطها. ويتّفق هؤلاء في الجملة على أن الوعد فيها وعد سنني شرطي، مقترن بالإيمان والعمل الصالح والطاعة والعبودية الخالصة، لا مجرد بشارة.

ومع ذلك لم يُخلّ أحدٌ منهم ببيان معنى الآية الأصلي، الذي يمثّل المرحلة الأولى من التفسير وأساسه، وإنما وقع الاختلاف في مدى ما يبنى عليه من توجيه أو تحليل أو تنزيل واقعي. فمنهم من اكتفى بالتقرير، ومنهم من توسّع إلى قراءات تربوية أو سننية أو مقاصدية، دون أن يترتب على ذلك إخلال بأداء الوظيفة التفسيرية الأساسية.

ثانيا: المحاور الكبرى لآية الاستخلاف

يتكشّف من خلال استقراء جملة من التفاسير المعاصرة أن تفسير آية الاستخلاف يدور حول خمسة محاور كبرى تمثّل معانيها المركزية، وهي:

1- الاستخلاف في الأرض.

2- تمكين الدين.

3- تبديل الخوف أمنا.

4- اشتراط الإيمان والعمل الصالح.

5- تحقيق العبودية الخالصة بوصفها غاية التمكين ولازمه.

ثالثا: دوائر التفسير في آية الاستخلاف بحسب المسالك التفسيرية:

يتبين من استقراء أقوال المفسرين أن تفسير آية الاستخلاف يمكن تصنيفه إلى ثلاث دوائر، بحسب درجة التوسّع في معالجتها. ويقوم هذا التصنيف على الإطار نفسه الذي استُعمل في تحليل التفاسير المتقدمة، مع اختلاف مستويات التوسّع، وهو تقسيم تقريبي مرن يهدف إلى إبراز أنماط المعالجة التفسيرية الغالبة. وتتمثل تلك الدوائر فيما يلي:

1- أقوال تفسيرية مباشرة: تلتزم البيان التفسيري المباشر، وقد تربط الآية بنظائرها القرآنية أو بتحققها التاريخي، دون بناء تحليل سنني واجتماعي مركّب. وممن يمثل هذا الاتجاه: الشنقيطي والسعدي (مع بروز بُعد سنني مستمّد من النصّ القرآني مباشرة)، وأبو بكر الجزائري في إطار البيان الإرشادي التعليمي المباشر، مع تفاوت في سعة الاستنباط والتفصيل.

2- أقوال تفسيرية مع بروز توجّه مهيمن: تلتقي في أصل المعنى التفسيري، لكنها تتجه إلى توظيف الآية في خطاب مهيمن خاص بكلّ مفسر؛ كالبعد الحركي عند سيد قطب، والتربوي عند سعيد حوى، والوعظي عند الشعراوي[62]، والتربوي السنني الواقعي عند ابن عثيمين، مع تفاوتهم في السعة والتّفصيل.

3- أقوال تفسيرية مركّبة ذات تحليل سنني واجتماعي: تقوم على دمج بيان المعنى بالتحليل السنني والاجتماعي والتاريخي في بنية تفسيرية واحدة، بحيث لا يقتصر التفسير على عرض المعنى، بل يُبنى ويُفسّر ضمن إطار سنني متكامل لا على هيئة مستويات منفصلة. ويمثّل هذا المسلك ابن عاشور ودروزة بوضوح، ويقاربهم وهبة الزحيلي؛ لجمعه بين البيان والتحليل والترجيح وربط الآية بمقاصد الشريعة وسنن الاجتماع، مع بقاء تحليله منضبطا ضمن النسق التفسيري.

جدول رقم (2) يوضّح دوائر التفسير ومسالكها التطبيقية عند المفسرين المعاصرين في آية الاستخلاف

الدائرة التفسيرية	طبيعة المعالجة التفسيرية	المفسرون
أقوال تفسيرية مباشرة	بيان المعنى التفسيري المباشر	السعدي، الشنقيطي، أبو بكر الجزائري
أقوال تفسيرية مع بروز توجّه مهيمن	بيان المعنى التفسيري مع بروز توجّه مهيمن (حركي، تربوي، وعظي، سنني)	سيد قطب، سعيد حوى، الشعراوي، ابن عثيمين
أقوال تفسيرية مركّبة ذات تحليل سنني واجتماعي	دمج البيان التفسيري بالتحليل السنني والاجتماعي في بنية تفسيرية مركبة	ابن عاشور، دروزة، ويقاربهم الزحيلي

يتبين من مجموع التفاسير المعاصرة أن الأقوال في آية الاستخلاف -على تنوّعها- لا تقوم على التعارض، بل على بنية دلالية متكاملة، قوامها بيان المعنى الأصلي، ثم ما يُبنى عليها من وجوه التوسّع المتعدّدة. ومع ذلك، لم يُخلّ أحدٌ منهم بمرحلة البيان التفسيري الأساسية -صراحة أو ضمنا-، وما يتصل بها من تقرير شروط تحقق الوعد، وإنما وقع الاختلاف في كيفية توظيف هذا المعنى والبناء عليه.

فبعضهم اتجه إلى إبراز البعد السنني والاجتماعي في تحقق الوعد، كما عند ابن عاشور ودروزة، وآخرون ركّزوا على توظيفه في سياق التربية الإيمانية وبناء الجماعة المسلمة، كما عند قطب وحوى، بينما قرره فريق ثالث في إطار سنني تربوي واقعي مرتبط بتحقق الشروط وتخلّفها، كما عند السعدي، والشنقيطي، وابن عثيمين.

في حين التزم أبو بكر الجزائري بالبيان التفسيري المباشر للآية مع توجيه إيماني وعظي، دون توسع تحليلي. وعالجها الشعراوي معالجة تربوية قيمية إصلاحية توظّف الآية في تهذيب الفرد والمجتمع، دون تحويلها إلى بناء تنظيري سنني أو خطاب حركي منظّم.

وخلاصة ما يترجح من هذا الاستقراء أن المفسرين -قدامى ومعاصرين- لم يظهر منهم تقصير في تفسير آية الاستخلاف، لا من جهة بيان معناها الأصلي، ولا ممّا بُنيَ عليها من توسّع وتوجيه، بل إن مجموع أعمالهم يكشف عن استيفاء مرحلة البيان، ثم البناء عليها بمستويات متفاوتة.

ويظهر أن هذا المسلك -القائم على استكمال البيان التفسيري أولا، ثم فتح باب التوسّع بعده- هو الغالب في أعمال المفسرين في الجملة، مع بقاء مجال الإضافة والاجتهاد مفتوحا تبعا لطبيعة الخطاب القرآني واتساع دلالاته.

كما يتبين أن التوسّع التفسيري لم يُبن عند أيّ منهم على تجاوز مرحلة البيان أو إلغائها، وإنما اختلفت مسالكهم في توجيه المعنى وتوظيفه، وتفاوتت درجات السعة في ذلك.

ومن ثم فإن الدراسة تكشف أن الحدّ الذي تتحقق به وظيفة المفسّر هو استيفاء البيان التفسيري للمعنى المراد، أما ما يجاوز ذلك من التطبيقات والتنزيلات والاستنباطات فيبقى مجالا مبنيا على هذا البيان، لا داخلا في حقيقته الأصلية.

المبحث الثاني: مناقشة منهجية في طبيعة التفسير وضوابط الحكم عليه:

يعالج هذا المبحث جملة من القضايا المنهجية المتصلة بطبيعة عمل المفسّر وحدود التوسّع في التفسير، ووضع ضوابط الحكم على صنيع المفسرين في تناول هذه الآية. ويتبين مما سبق أن إطلاق الحكم بتقصير المفسرين في تفسير آية الاستخلاف -أو غيرها- يحتاج إلى قدر من التروّي والتحقيق؛ لا سيما وقد ظهر أن الجهود التفسيرية -قديمها وحديثها- تتكامل في بيان المعنى الأصلي، ثم تتنوّع وجوه التوسّع بحسب زوايا النظر ومراتب الاشتغال، ويُعالج هذا المبحث هذه القضايا في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المرحلة التفسيرية الأولى وضبط الاستنباط

من القضايا التي تحتاج إلى إعادة نظر في تقييم التفسير، ما قد يُعدّ تقصيرا عند بعض المفسّرين -ولا سيّما المتقدّمين- من عدم التوسّع في إسقاط الآية على الواقع؛ إذ يظهر أن هذا المسلك يقوم في حقيقته بوظيفة منهجية دقيقة، تتمثل في ترسيخ المرحلة الأولى من التفسير، وهي بيان المعنى الأصلي للنص القرآني.

وتمثّل هذه المرحلة أساسا ضابطا لعملية الاستنباط؛ إذ تحدّد دلالة النصّ القرآني في ضوء اللغة والسياق؛ وتمنع الانحراف في فهمه عند الانتقال إلى مستويات التوسع المختلفة. وبذلك يكون جهد المفسرين في ترسيخها إسهاما في حماية الدلالة القرآنية، وتهيئة الأرضية لمن يأتي بعدهم للبناء عليها في مجالات التوظيف والاستنباط.

ويتضح أثر ذلك فيما ذكره دروزة في نقد بعض التأويلات التي صرفت آية الاستخلاف عن معناها العام إلى تأويل خاص مرتبط بقضية الإمامة؛ حيث نشأ هذا التأويل من عدم مراعاة دلالات النص وسياقه؛ كإهمال أسباب النزول، أو إغفال قواعد الخطاب القرآني كقاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[63].

ويُبرز هذا المثال أن تجاوز مرحلة البيان التفسيري أو عدم استيفائها، يؤدي إلى اختلال في بناء المعنى وانحراف في التوسّع، بينما يظل الالتزام بها أساسا ضابطا لكلّ ما يُبنى بعدها من استنباط أو تنزيل. ومن هنا، فإن ما قد يُتوّهم تقصيرا في بعض التفاسير إنما هو -في جانب منه- تأسيس لمنهج يحفظ دلالة النص ويصونها من الانحراف.

المطلب الثاني: معيار النقد وضوابطه في التفسير

من القضايا المنهجية المركزية في دراسة التفسير تحديد معيار النقد قبل توجيهه إلى أقوال المفسرين ومناهجهم؛ إذ لا يصحّ الحكم على تفسير بمخالفة منهج معين دون بيان المعيار الذي يُحتكم إليه في ذلك.

ويظهر أن من أهم هذه المعايير محاكمة المفسّر إلى ما التزمه في مقدمّة تفسيره، أو إلى المنهج المستخلص من خلال استقراء ممارسته الفعلية للتفسير. فإذا وجّه النقد في ضوء هذا المعيار، أو تعلّق بقضايا تأسيسية في التفسير كالمرويات المعتمدة أو الترجيحات المبنية على قواعد علمية، كان نقدا معتبرا يُسهم في تصويب العمل التفسيري واستدراك ما يقع فيه من خلل.

أما إذا انصرف النقد إلى تحميل المفسّر ما لم يلتزمه، أو إلى محاكمته بمعايير خارجة عن منهجه، فإنه يفقد موضوعيته ويؤدي إلى نتائج غير منضبطة؛ إذ قد يُؤخذ عليه إغفال قضايا لا تدخل في طبيعة اشتغاله، فيلام -مثلا- على عدم التوسّع في مباحث نحوية أو كلامية أو في جمع المرويات؛ تبعا لزاوية نظر الناقد لا لالتزام المفسّر نفسه.

وبناء على ذلك، فإن النقد التفسيري المنهجي هو ما يقوم على معايير علمية واضحة، مشتركة بين أهل هذا الفن، أو متفرّعة عن التزام المفسّر نفسِه، وما عدا ذلك يظلّ أقرب إلى اختلاف وجهات النظر منه إلى تقويم علمي منضبط.

المطلب الثالث: تفسير الآية في ضوء نظائرها القرآنية

من القضايا المنهجية التي يجدر استحضارها، أن عدم توسّع بعض المفسرين في تفسير آية الاستخلاف في موضعها لا يدلّ بالضرورة على إغفال معناها، إذ قد يكون المفسّر تناول دلالتها وقرّر معانيَها في مواضع قرآنية أخرى تتصل بها من جهة الموضوع بما يغني عن إعادة بيانها؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105] ونحوها من الآيات التي تعالج موضوع الاستخلاف والتمكين.

ويتجلّى ذلك بوضوح في تفسير المنار (ت 1935م)؛ إذ لم يفسّر صاحبُه سورة النور، ومع ذلك قرّر معنى الاستخلاف في مواضع متعددة من تفسيره[64]، مؤكّدا سننيته من خلال ربطه بتحقق الهداية وآثارها في الواقع، ومبرزا ارتباط الوعد بشرطه من الإيمان والعمل الصالح، ومفسّرا تخلّف آثاره في الواقع بانتفاء هذه الشروط.

وعلى هذا، فإن الحكم على صنيع المفسّر لا ينبغي أن يُبنى على موضع واحد من تفسيره؛ بل على مجموع منهجه في تفسير القرآن وتعامله مع نصوصه.

المطلب الرابع: دواعي التأليف وسياق المفسّر وأثرهما في توجيه التوسّع التفسيري

من القضايا المنهجية المؤثرة في فهم مناهج التفسير، استحضار دواعي التأليف عند المفسّر، والجهة التي توجّه إليها تفسيره؛ إذ قد يكون غرضه الاقتصار على بيان المعنى الظاهر، أو التركيز على الجوانب اللغوية، أو العناية بالقراءات، أو جمع المرويات، أو إبراز البعد التربوي أو السنني. ويرتبط ذلك في الغالب بتخصّص المفسّر وطبيعة الشريحة التي أُلّف التفسير لأجلها.

ويُسهم في تفسير هذا التفاوت مراتب الاشتغال التفسيري عند المفسّرين؛ إذ لا يقف الجميع على مرتبة واحدة، بل يتنوّعون بين منتج للمعنى، ومحرّر له، وشارح، ومعلّم[65]، الأمر الذي يفرض مراعاة طبيعة هذا الاشتغال عند تقويم نتاجهم التفسيري. ومن ثم فإن اختلاف هذه الأغراض يقتضي توجيه النقد في ضوء ما التزمه المفسّر نفسه، لا في ضوء توقّعات خارجة عن منهجه.

كما تؤثر بيئة المفسّر وسياقه التاريخي في طبيعة التوسّع في التفسير؛ فالمفسّر ابن زمانه يستجيب في كثير من الأحيان لحاجات عصره. ومن هنا يمكن تفسير الغلبة النسبية للأبعاد السننية أو التربوية أو الحركية في بعض التفاسير المعاصرة، في ضوء ما شهدته الأمة من تحديات؛ بخلاف ما يظهر عند المتقدمين، وإن كانوا قد قرّروا بوضوح ارتباط النصر والتمكين بالشروط التي نصّت عليها الآية الكريمة.

ويضاف إلى ذلك أثرُ العرض نفسه؛ إذ يختلف التفسير المكتوب -المحكوم بضبط العبارة وانتقائها- عن التفسير الشفهي الإلقائي، الذي يتسم بطابع التفاعل مع المخاطَبين، واتساع مجال الاستطراد، واستحضار الواقع المعاصر في أثناء البيان.

وفي هذا الإطار يُفهم التوسّع في بعض الشروح الشفهية؛ كما في تفسير ابن عثيمين الذي قُدِّم في سياق دروس تفاعلية، فارتبط فيه تفسير الآية بواقع المسلمين، واستُحضرت فيه السنن المرتبطة بها، مع توظيف الوقائع المعاصرة في بيان دلالتها.

ومن صور تأثير السياق كذلك، ما يُفرض على المفسّر من معالجة بعض القضايا الجدلية، كما في مسألة الإمامة(66)؛ حيث دفع تنزيل بعض الفرق للآية على معنى مخصوص إلى تناول بعض المفسرين لهذا التّفسير وردّه، مع أن سياق الآية في ذاته لا يقتضي هذا الحصر، بل يكفي فيه بيان معنى الاستخلاف والتمكين على وجهه العام.

ويظهر من مجموع ذلك أن اختلاف درجة التوسّع في التفسير قد يرتبط -في جانب منه- بعوامل متعلّقة بسياق المفسّر ودواعي اشتغاله وسياق عرضه، لا بمجرّد اختلاف المنهج أو القصور في البيان.

المطلب الخامس: من التفسير إلى التنزيل: تحدي الانتقال من المعنى إلى الواقع

من المسلّم أن القرآن الكريم كتاب هداية وعمل، وأن غايته لا تقف عند البيان والتدبر، بل تمتد إلى التنزيل والتطبيق في الواقع. غير أن هذا لا يعني التقليل من شأن التفسير، بل يؤكّد مركزيّة وظيفته، وهي ضبط المعنى وتحرير الدلالة؛ ليكون أساسا صحيحا يُبنى عليه كل استنباط لاحق.

وقد اضطلع المفسرون -قديما وحديثا- بهذه الوظيفة، فأحكموا بيان المعنى، ثم يجيء بعدهم دور من يتولى تنزيل هذه المعاني على الواقع من أهل التربية والاجتهاد، في ضوء فهم دقيق وتشخيص صحيح لمقتضيات الحال.

ومن هنا يتبين أن التحدي الحقيقي لا يكمن في مجرّد توسيع التنظير، بقدر ما يتمثّل في حسن الانتقال من الفهم الصحيح إلى التنزيل الفعال المثمر. ويمكن تصوير هذه العملية في ثلاث مراحل متكاملة: تفسير دقيق يحرّر المعنى، ثم استنباط منضبط يُبنى عليه، ثم تطبيق واقعي يُثمّر هذا الفهم. وبهذا يتحقق التوازن بين النظر والعمل، وتتكامل أدوار المفسرين مع غيرهم من أهل الاختصاص في تحقيق مقاصد القرآن على الواقع.

ولا يعني ذلك تضييق دائرة النقد العلمي أو إغلاق باب الاستدراك، بل المقصود توجيهه وفق معايير منضبطة تعين على بناء المعرفة التفسيرية وتطويرها، دون الوقوع في التعجّل في الأحكام أو تحميل المفسرين ما لم يلتزموه.

كما أن التفسير - كسائر العلوم- يقوم على التراكم المعرفي وتكامل الجهود؛ إذ يضع كلُّ مفسر لبنة في بناء الفهم، ثم يأتي من بعده من يستدرك ويضيف ويوسّع في ضوء ما يقتضيه تخصصه وسياقه. ومن ثم فإن وجود مساحات قابلة للزيادة أو التوسع في بعض التفاسير لا يُعدّ تقصيرا، بقدر ما يُمثّل مجالا مفتوحا للإسهام العلمي.

وعلى هذا، فإن اختلاف زوايا المعالجة بين المفسرين لا ينبغي أن يُقرأ بوصفه خللا في صنيعهم، بل باعتباره صورة من صور توزيع الجهد العلمي، حيث يُعنى كل منهم بجانب دون غيره، في ضوء اختصاصه وغرضه.

خاتمة:

توصّل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، نعرضها فيما يلي:

أولا: النتائج

1- التفسير في أصله بيان المعنى المراد للنص القرآني وتحرير دلالته، وهو وظيفة المفسّر الأساسية، وما يردُ بعد ذلك من توسّع في الاستنباط أو التوظيف فإنما هو مبني على هذا البيان لا داخلا في حدّه.

2- الخلاف بين المفسرين في آية الاستخلاف لا يرجع إلى أصل المعنى، وإنما إلى مستوى البيان التفسيري وحدّه الأدنى: هل يُكتفى بالمعنى الإجمالي أم يُبسط ويُتوسّع فيه.

3- جميع المفسرين قد استوفوا مرحلة البيان التفسيري للآية -صراحة أو ضمنا- ولم يظهر منهم تقصير فيها، وإنما وقع الاختلاف في درجات التوسّع والتوظيف.

4- الأقوال التفسيرية لا تقوم على التعارض، بل تتوزّع على مستويين رئيسين: مستوى البيان التفسيري للمعنى الأصلي، وهو المرحلة المؤسسة المستقلة، ثم مستوى التوسّع المبني عليه، الذي يتنوّع في اتجاهاته بين تنزيل تاريخي، وفهم سنني، وتوظيف حركي وتربوي.

5- التوسّع بعد البيان التفسيري مشروع، بشرط بنائه على المعنى الأصلي وعدم إلغائه، وإلا أدى إلى انحراف في الفهم والتنزيل.

6- آية الاستخلاف حظيت في التفسير المعاصر بقراءات سننية واجتماعية وتربوية موسّعة، دون إخلال بأصل معناها القرآني.

7- تقويم التفسير ينبغي أن يقوم على معايير منهجية منضبطة، أبرزها:

- محاكمة المفسّر إلى ما التزمه في مقدمة تفسيره، أو إلى المنهج المستفاد من ممارسته الفعلية.
- مراعاة سياقه العلمي والتاريخي.
- النظر في مجموع تفسيره لا في موضع واحد منه.
- التمييز بين مرحلة البيان ومرحلة التوسّع.

8- الإشكال ليس في تفسير النص بعد استيفاء بيانه، بل في تنزيله على الواقع، وهو المجال الأجدر بتوجيه الجهد إليه، بدل التوسّع في استدراك غير لازم على المفسّرين.

ثانيا: توصيات

1- التأني في الحكم على التفاسير، ومراعاة المحددات المنهجية في نقدها، ولا سيّما محاكمة المفسّر إلى ما التزمه في منهجه المصرّح به أو المستفاد من ممارسته التفسيرية.

2- العناية بدراسة تطور التفسير عبر العصور، واستقراء مظاهر التوسّع فيه، وتحليل العوامل العلمية والتاريخية المؤثرة في ذلك.

3- تقويم جهود المفسرين في آية الاستخلاف في ضوء مراتب الإنتاج التفسيري، من حيث كون المفسّر منتجا للمعنى، أو محررا له أو شارحا أو معلّما ونحو ذلك، بما يسهم في فهم تمايز مسالكهم والحكم عليها حكما منصفا.

4- العناية بدراسة ترجمات معاني القرآن الكريم، ولا سيّما إلى اللغة الإنجليزية من حيث مدى استيفائها للمعنى التفسيري الأصلي، وأنماط التوسّع أو الاختزال فيها، مع تطبيق ذلك على آية الاستخلاف.

5- تحليل التفاسير المعاصرة المسموعة، ودراسة مناهجها في تناول آية الاستخلاف، ومقارنة خصائصها بالتفسير التأليفي المكتوب.

6- توجيه الدراسات القرآنية إلى العناية بمنهج تنزيل المعاني القرآنية على الواقع، وضبطه بضوابط علمية واضحة، بدل الاقتصار على استدراك البيان التفسيري.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، (ت 745هـ)، البحر المحيط، عناية: صدقي محمد جميل العطار وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 2000م.

2- ابن أبي حاتم، أبو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، (ت 327هـ)، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.

3- ابن باديس، عبد الحميد، تفسير ابن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ، 1995م.

4- الجزائري، أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1424هـ، 2003م.

5- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ.

6- حجار، عدي جواد، دراسة مؤهلات المفسر بين النظرية والتطبيق دراسة في مقدمات التفسير، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، العراق، العدد 36، 37، المجلد1، أكتوبر 2021م.

7- حسين، م. م. حسين علي، إشكاليات اتجاه التفسير العلمي للقرآن: دراسة نقدية تحليلية في الأسس والمنطلقات المنهجية، مجلة العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، العراق، العدد 31، أغسطس 2022م.

8- حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، 1405هـ، 1985م.

9- حيدوسي، عمر، محاولة تجديدية في تصنيف الأدوات التفسيرية، مجلة الإحياء، جامعة باتنة، الجزائر، العدد 16، 2013م.

10- دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ.

11- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (ت 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

12- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.

13- ابن زَمَنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، (ت 399هـ)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفروق الحديثة، القاهرة، 1423هـ، 2002م.

14- الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، دمشق - بيروت، 1411هـ، 1991م.

15- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف، (ت 538هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة – بيروت، د.ت.

16- السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ، 2000م.

17- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (ت 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، د.ت.

18- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، مصر، د.ت.

19- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، دار ابن حزم، دار عطاءات العلم، بيروت – الرياض، ط5، 1441هـ، 2019م.

20- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، 1422هـ، 2001م.
21- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، (ت 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1998م.
22- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
23- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، (ت 542هـ)، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
24- ابن عثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم "سورة النور"، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، 1436هـ.
25- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، (ت 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ.
26- علوان، محمد جابر، دور الاتجاه التفسيري في القرآن الكريم، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، عدد 2، مج30، فيفري 2022م.
27- فقيه، أحمد محمد عبد الرحمن، المفسّر ما بين قبلياته ومتغيرات العصر الحديث، مجلة مجمع، جامعة المدينة العالمية ماليزيا، ماليزيا، العدد 20، أبريل 2017م.
28- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ، 1999م.
29- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م.
30- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت 465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط3، د.ت.
31- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ، 2003م.
32- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
33- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، (ت 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ، 1998م.
34- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، 1415هـ.
35- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1994م.
36- اليماني، خليل محمود، بناء الرّتب العلمية للمفسّرين في التفسير، الأهمية والآفاق مع طرح تصوّر تأسيسي للسير في دراسة الرتب العلمية للمفسرين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ديسمبر 2021، تاريخ الدخول: 1 مايو 2026، https://tafsir.net/researchs/12527
37- اليماني، خليل محمود، بناء المدارس التفسيرية للمفسرين، الأهمية والآفاق مع طرح تصوّر منهجي لبناء المدارس التفسيرية للمفسرين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، جويلية 2023، تاريخ الدخول: 1 مايو 2026، https://tafsir.net/researchs/12141

38- اليماني، خليل محمود، مفهوم المفسّر: نقد وتحرير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، أبريل 2025، تاريخ الدخول: 1 مايو 2026، https://tafsir.net/articles/7994
39- اليماني، خليل محمود، مقاربة في ضبط معاقد التفسير محاولة لضبط المرتكزات الكلية للعلم ومعالجة بعض إشكالاته، مركز تفسير للدراسات القرآنية، أكتوبر 2020، تاريخ الدخول: 1 مايو 2026، https://tafsir.net/articles/11250

الهوامش:

(1) اليماني، خليل محمود، بناء المدارس التفسيرية للمفسرين، الأهمية والآفاق مع طرح تصوّر منهجي لبناء المدارس التفسيرية للمفسرين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، جويلية 2023، تاريخ الدخول: 1 مايو 2026، https://tafsir.net/researchs/12141

(2) اليماني، خليل محمود، بناء الرّتب العلمية للمفسّرين في التفسير، الأهمية والآفاق مع طرح تصوّر تأسيسي للسير في دراسة الرتب العلمية للمفسرين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ديسمبر 2021، تاريخ الدخول: 1 مايو 2026، https://tafsir.net/researchs/12527

(3) اليماني، خليل محمود، مفهوم المفسّر: نقد وتحرير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، أبريل 2025، تاريخ الدخول: 1 مايو 2026، https://tafsir.net/articles/7994

(4) اليماني، خليل محمود، مقاربة في ضبط معاقد التفسير محاولة لضبط المرتكزات الكلية للعلم ومعالجة بعض إشكالاته، مركز تفسير للدراسات القرآنية، أكتوبر 2020، تاريخ الدخول: 1 مايو 2026، https://tafsir.net/articles/11250

(5) حيدوسي، عمر، محاولة تجديدية في تصنيف الأدوات التفسيرية، مجلة الإحياء، جامعة باتنة، الجزائر، العدد 16، 2013م؛ حجار، عدي جواد، دراسة مؤهلات المفسر بين النظرية والتطبيق دراسة في مقدمات التفسير، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، العراق، العدد 36، 37، المجلد1، أكتوبر 2021م.

(6) فقيه، أحمد محمد عبد الرحمن، المفسّر ما بين قبلياته ومتغيرات العصر الحديث، مجلة مجمع، جامعة المدينة العالمية ماليزيا، ماليزيا، العدد 20، أبريل 2017م؛ علوان، محمد جابر، دور الاتجاه التفسيري في القرآن الكريم، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، عدد 2، مج30، فيفري 2022م.

(7) حسين، م. م. حسين علي، إشكاليات اتجاه التفسير العلمي للقرآن: دراسة نقدية تحليلية في الأسس والمنطلقات المنهجية، مجلة العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، العراق، العدد 31، أغسطس 2022م.

(8) والمقصود بالتفاسير المتقدمةِ التفاسيرُ التي سبقت العصر الحديث، دون التقيّد بالتصنيف الاصطلاحي الشائع للتفاسير التراثية؛ نظرا لما تتطلبه طبيعة الدراسة من تجاوز هذا التصنيف إلى النظر في مسالك المفسرين وطرائق اشتغالهم.

(9) يُنظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، 1422هـ، 2001م، ج17، ص346.

(10) المصدر نفسه، ج17، ص346.

(11) المصدر نفسه، ج17، ص346.

(12) المصدر نفسه، ج17، ص346، 347.

(13) "والذي قاله أبو العاليةِ مِن التأويلِ أشبهُ بتأويلِ الآيةِ، وذلك أن الله وعَد الإنعامَ على هذه الأُمَّةِ بما أخبرَ في هذه الآيةِ أنه مُنْعِمٌ به عليهم، ثم قال عَقِيبَ ذلك: فمَن كفَر هذه النعمةَ بعدَ ذلك، فأولئك هم الفاسقون"، المصدر نفسه، ج17، ص349.

(14) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف، (ت 538هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة – بيروت، د.ت، ج3، ص252.

[15] المصدر نفسه، ج3، ص251، 252.
[16] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (ت 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420م، ج24، ص412.
[17] المصدر نفسه، ج24، ص412.
[18] المصدر نفسه، ج24، ص412، 413.
[19] يُنظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م، ج12، ص298.
[20] المصدر نفسه، ج12، ص299.
[21] المصدر نفسه، ج12، ص299.
[22] المصدر نفسه، ج12، ص299، 300.
[23] المصدر نفسه، ج12، ص300. ويبدو أن عدم الترجيح بينها مردّه أن تلك الأقوال ترجع في الجملة إلى أصل واحد هو الإخلاص والتوحيد.
[24] المصدر نفسه، ج12، ص300.
[25] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ، 1999م، ج6، ص77.
[26] المصدر نفسه، ج6، ص78.
[27] المصدر نفسه، ج6، ص79، 80.
[28] "فالصحابة، رضي الله عنهم، لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل، وأطوعهم لله -كان نصرهم بحسبهم، وأظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييدًا عظيما، وتحكموا في سائر العباد والبلاد. ولما قَصَّر الناس بعدهم في بعض الأوامر، نقص ظهورهم بحسبهم"، ومما يؤكد بقاء هذه السنة ما "ثبت في الصحيحين، من غير وجه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة". المصدر نفسه، ج6، ص80.
[29] ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، (1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ، ج4، ص62.
[30] يُنظر: ابن زَمَنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، (ت 399هـ)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفروق الحديثة، القاهرة، 1423هـ، 2002م، ج3، ص242 وما بعدها.
[31] يُنظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج4، ص117 وما بعدها.
[32] يُنظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1994م، ج3، ص326 وما بعدها. واختصر الفكرة في كتابه الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، 1415هـ، ص768 وما بعدها.
[33] يُنظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ، ج3، ص303 وما بعدها.
[34] يُنظر: الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، (ت 745هـ)، البحر المحيط، عناية: صدقي محمد جميل العطار وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 2000م، ج8، ص64 وما بعدها.

(35) ولا يقتضي هذا الوصف حصر آليات كالتوجيه أو الترجيح في هذه الدائرة وحدها، إذ قد يقع الترجيح أحيانا في صلب التفسير الأساسي نفسِه، كما هو الشأن عند الطبري في حمله الكفر في خاتم الآية على كفران النعمة، دون أن يُخرجه ذلك عن وظيفة البيان التفسيري الأصلي.

(36) يُنظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، (ت 542هـ)، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ج4، ص192 وما بعدها.

(37) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، (ت 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ، 1998م، ج2، ص515 وما بعدها.

(38) ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، (ت 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1998م، ج14، ص436 وما بعدها.

(39) ابن أبي حاتم، أبو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، (ت 327هـ)، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ، ج8، ص2627، وما بعدها.

(40) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (ت 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج6، ص215.

(41) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت 465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط3، د.ت، ج2، ص620، 621.

(42) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ، 2000م، ص573.

(43) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ، 2003م، ص2529.

(44) المصدر نفسه، ص2528.

(45) المصدر نفسه، ص2529.

(46) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج18، ص282.

(47) المصدر نفسه، ج18، ص283 - 285.

(48) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، دار ابن حزم، دار عطاءات العلم، بيروت – الرياض، ط5، 1441هـ، 2019م، ج6، ص273.

(49) دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ، ج8، ص438.

(50) المصدر نفسه، ج8، ص439.

(51) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، 1405هـ، 1985م، ج7، ص3802.

(52) المصدر نفسه، ج7، ص3803. ونقل كلاما مطولا للمودودي يركّز فيه على شرطية وعد الاستخلاف، ويرفض اختزاله في الغلبة السياسية، منتقدا القراءات الوضعية الحديثة، ومؤكدا تحققه تاريخيا في نموذج الخلفاء الراشدين، ص3803 - 3808.

(53) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، مصر، د.ت، ج17، ص10316-10324.

(54) ابن عثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم "سورة النور"، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، 1436هـ، ص356.

(55) المصدر نفسه، ص357، 359.

(56) المصدر نفسه، ص362، 363.

(57) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، دمشق - بيروت، 1411هـ، 1991م، ج18، ص280.

(58) المصدر نفسه، ج18، ص281.
(59) المصدر نفسه، ج18، ص282 – 284.
(60) المصدر نفسه، ج18، ص281.
(61) الجزائري، أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1424هـ، 2003م، ج3، ص583 وما بعدها.
(62) المقصود بالوعظ هنا التوجه التربوي، وليس المراد التقليل العلمي.
(63) قال دروزة: "والهوى الشيعي ظاهر في تأويل الآيات وصرفها عن روعة مفهومها الشامل للمسلمين، باستخلافهم في الأرض وتمكّن دينهم، إذا آمنوا وأخلصوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الرسول. وليس فيها أي شيء يبرر ذلك الصرف والتأويل"، التفسير الحديث، ج8، ص442.
(64) يُنظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م، ج1، ص6، 7، ص170، ج4، ص147، ج8، ص220، ج9، ص486، ج10، ص209، ص342، ج11، ص259، ج12، ص202، وغيرها؛ ويُنظر: ابن باديس، عبد الحميد، تفسير ابن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ، 1995م، ص347؛ والشعراوي: ج10، ص6111، ج11، ص6512.
(65) يُرجع إلى أعمال خليل محمود اليماني السابقة.
(66) يُنظر: دروزة، التفسير الحديث، ج8، ص441، 442.